توصيف المحاضرة:

1- اسم الأستاذ:

حاتم كعب (أستاذ محاضر أ)

2- عنوان المحاضرة:

فنون أدب الطفل: الشعر والأنشودة

3-عناصر المحاضرة:

- التعريف بشعر الأطفال.
- التعريف بشعر الترقيص والمهد عند العرب.
- نماذج من شعر الترقيص عند العرب.
- معايير وشروط الكتابة الشعرية للأطفال.

4-أهداف المحاضرة:

- التعريف على أحد أهم فنون أدب الطفل وهو الشعر.
- تبيان مفهوم شعر الأطفال .
- تبيان معايير الكتابة الشعرية للأطفال.
- التعرف على الأهداف المختلفة لشعر الأطفال.
- التعرف على أشكال شعر الأطفال.
- التعرف على أهم إرهاصات شعر الأطفال في الثقافة العربية.

5- ملخص المحاضرة:

تسعى هذه المحاضرة، إلى تسليط الضوء على أحد أهم فنون أدب الطفل، وهو الشعر والأنشودة، وقد بدأ الاهتمام بشعر الأطفال باكرا ذلك أن الشعر من أجمل الفنون الأدبية، وأكثرها تأثيرا على نفوس البشر بما يفيض به من شعور ووجدان وانفعال منقطع النظير ، وقد عرفته الثقافة العربية ممثلا في شعر الترقيص عند العرب أو شعر المهد كما يطلق عليه بعض الدارسين له، كما عالجت المحاضرة أهم

معايير الكتابة الشعرية للأطفال والت ينبغي على شعراء الأطفال مراعاتها والأخذ بها.

المحاضرة رقم: 03

فنون أدب الطفل: الشعر والأنشودة

تختلف أشكال أدب الأطفال، وتتعدّد وسائطه، فتضمّ الشعر والقصة والمسرح والصحف والمجلات والكتب بأنواعها...وغيرها، ولكل شكل من هذه الأشكال دوره الخاص في تكوين الطفل وتثقيفه، وتهيئته لعالم الغد.

وسنحاول في الصفحات الآتية اكتشاف أهم هذه الأشكال وأكثرها شيوعا.

-أوّلا الشعر:

لاغرو أنّ الشعر من أجمل الفنون الأدبية، وأكثرها تأثيرا على نفوس البشر بما يفيض به من شعور ووجدان وانفعال منقطع النظير، وإيقاع موسيقي تطرب له النفس وتهفو إليه، وهذا هو شأنه مع الكبار بل ومع الصغار أيضا؛ إذ«تعدّ الأغاني والأشعار ذات أثر كبير في حياة الطفل، تسعده وتدخل البهجة في نفسه، ومن خلالها يتعلّم أشياء كثيرة»[28].

ليس هذا فحسب، بل إنّ الشعر-أيضا- ينمي عند الإنسان الإحساس بالفنّ والجمال، ممّا يرفع ملكة التّذوّق عنده[29].

وقد تفطّن الإنسان منذ القدم-ولاسيما العربيّ- إلى الدور الهام الذي تلعبه الأناشيد والأشعار في حياة الطفل، وقد سجّل لنا التاريخ الثقافي العربي كثيرا من أشعار وأغاني الأطفال، وقد عرف هذا اللون من الشعر باسم أشعار الترقيص والمهد عند العرب، وهي «أرجوزة قصيرة

---

(28)- حنان عبد الحميد العناني. أدب الأطفال . دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع.عمان -الأردن.ط4. 1999.ص45.

(29)- ينظر: أحمد نجيب. المرجع السابق. ص150.

تميل إلى الإيقاع الصوتي والنغمي...ومؤلّفها قد يكون الأمّ أو الجدّة، أو مجهول النسب التأليفيّ، أو من نظم الرجّاز من الشعراء»[30].

وقد ظلّ هذا اللون من الشعر مبعثرا في بطون الكتب لا يأخذ حقّه من التأليف الخاص، والتصنيف المنتظم إلى أن جاء العصر الحديث فألّفت الكتب في هذا اللون، وسلّط الضوء عليه، ونذكر من بين أهمّ هذه المؤلّفات ما يلي[31]:

1-أشعار الترقيص عند العرب لسعيد الديوجي

2-أغاني ترقيص الأطفال عند العرب لأحمد أبو سعيد

3- الغناء للأطفال عند العرب لأحمد عيسى.

ومن أمثلة هذه الأشعار التي احتفظت بها الذاكرة الشعرية العربية ما تغنّت به المرأة العربية قديما، وراقصت به وليدها قائلة[32]:

يَا حَبّذا ريحُ الوَلَدْ

ريحُ الخزامَى في البلدْ

أهكذا كلُّ وَلَدْ

أم لم يلدْ مثلي أَحَدْ

وتصوّر هذه المقطوعة فرحة أمّ بمولودها، واعتزازها به اعتزاز العربي بنسله، متطلّعة إلى مستقبله الحافل، بالإنجازات العظيمة حتّى كادت تنكر عنه المثيل والشبيه من بين أبناء جلدته.

ولم يكن الرجل العربي بمنأًى عن هذا اللون الفنّي، فقد وصلتنا أمثلة عديدة عن ترقيص الرجال لأولادهم وبناتهم، وهذا **الراغب** الأصفهاني يروي لنا خبر رجل رقّص ابنته مردّدا[33]:

---

(30)- أحمد زلط. أدب الطفل العربيّ. (دراسة معاصرة في التأصيل و التحليل).دار الوفاء للطباعة و النشر .الإسكندرية . ط2. دت. ص134.

(31)- ينظر: محمد مرتاض. من قضايا أدب الأطفال (دراسة تاريخية فنية). ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون – الجزائر. دط. 1994 هامش ص25.

(32)- ينظر: محمد مرتاض .المرجع السابق. هامش ص25.

بُنَيَّتي ريـحانَهْ، أَشَمُّها

فَدَيْتُ بُنَيّتي، وفَدَتْنِي أُمُّها.

ويقول آخرُ مراقصا إبنه[34]:

يا حبّذا روحُه ومَلْمَسُهْ

أمْلَحُ شيء ظلاًّ وأَكْيَسُهْ.

ومن أروع ما حفظ لنا على الإطلاق من هذا اللون ترقيص السيّدة فاطمة الزهراء لابنها الحسين بن علي رضي الله عنهم، وذلك حين تقول[35]:

إنّ بُنَيَّ، شِبْهُ النَّبِيّْ

ليس شبيها بعليّْ.

وكان الإمام الحسين بن عليّ رضي الله عنه أشبه الناس بجدّه رسول الله صلى **الله عليه وسلم** ممّا دفعها –رضوان الله عليها– أن تتغنّى بمثل هذا، فهي ترى الفضل كلّ الفضل في مشابهة رسول الله **صلى الله عليه وسلم** لا في مشابهة غيره، حتى لو كان غيره هذا بعلها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

ومن لطائف هذا اللون أيضا، خبر الأعرابيّ أبي حمزة، هذا الرجل الذي غضب غضبا شديدا، وهجر منزله مسود الوجه وهو كظيم بعد أن ولدت له زوجته بنتا، وبعد مرور ما يقارب السنة راوده الحنين فرجع، وأقبل نحو خيامه، فصادف مروره ترقيص زوجته لابنتها قائلة[36]:

ما لأبي حمزةَ لا يأتينا

يظَلُّ في البيت الذي يلينا

---

(33)– ينظر: الراغب الأصفهاني. محاضرات الأدباء، ومحاورات الشعراء والبلغاء. تهذيب: إبراهيم زيدان. دار الجيل، بيروت لبنان. ط2. 1986. ص138 .

(34)– ينظر: المرجع السابق. ص138

(35)– ينظر: المرجع نفسه.ص 137.

(36)– ينظر: الجاحظ. البيان و التبيين ص130–131

غضبانَ ألاّ نلدَ البنينَا

تاللّه ما ذلك في أيدينا

وإنّما نأخذُ ما أُعطينا

ونحن كالأرض لزارعينا

ننبت ما قد زرعوه فينا.

ولمّا سمع من زوجته هذا ندم على ماكان منه من هجر، وعاب على نفسه على تصرّفه وأقبل على زوجته يرضيها، ويحضن ابنته ويقبّلها بحرارة[37] ، وقد ظل هذا اللون من الشعر قائما إلى يوم الناس هذا يجسد تقليدا فنيا، توارثه العرب جيلا عن جيل، فيعثر المرء هنا وهناك في ربوع هذه الأمة على مقطوعات شعرية على شاكلة شعر الترقيص القديم، من مثل قول بعض النسوة في بلادنا[38].

هشّ هرّ، هشّ هر

إن شاء الله تكبر

وتجيب لمّك العسل

وهذه الأبيات متداولة بين نساء الغرب الجزائري. ودائما ونحن في أحضان هذا الوطن الشاسع نقع على نماذج أخرى من هذا اللون الفني، فلو عدنا إلى أقصى الجنوب، وتحديدا منطقة وادي سوف لوقعنا على مناغاة رجل لابنته التي باتت ليلتها باكية لفراق أمها، فلا سبيل لديه لإسكات الباكية إلا أن يقول[39]:

واش لبكاك يا عزيزة

---

(37)– ينظر: المصدر السابق. ص131.

(38)– ينظر: محمد مرتاض. المرجع السابق، ص26.

(39)– هذه الأبيات تشيع في منطقة وادي سوف من الجنوب الجزائري.

رزقي غدا لي غزيزة

مشتاقة إلا مصّة زيزة، والمومن يمّن

العطرة بايتة تحنّن

يا فرح أماتها تهنّن

واش لبكاك يا حوارة

مرحولك صدّ من فجارة، والريح متتّن

والعطرة بايتة تحنن

واش لبكاك يا ولدتي

ما صابك نوم لا رقدتي.

هكذا قضى ليله في رثاء حاله وحال ابنته –بعد أن هجرته زوجته– بأشعار هي كفيلة بنقل معاناة ابنته لكل من يقرأها أو يسمعها، كما أنها كفيلة بالتعبير عن روعة هذا اللون الأدبي في بلادنا.

ومثل هذا ليس بغريب عن الشعوب العربية الشقيقة؛ فالثقافة واحدة والموروث واحد والدماء التي تسري واحدة، فأنّى لا يكون هذا التشاكل، وخير ما ندلل به على ما نقول وما هو ما أورده الدارس أحمد نجيب في كتابه "أدب الأطفال علم وفن" من أشعار الترقيص والمهد عند بعض الشعوب العربية، ويمكن أن نمثّل لها من خلال بعض النماذج الآتية:

النموذج الأول[40]:

هينا مقصّ وهينا مقصّ

هينا عرايس تتربص

والثعلب فات فات

وافديله سبع لفات

(40)– ينظر أحمد نجيب: المرجع السابق. ص145.

أبو قردان زرع فدان

النموذج الثاني[41]:

عمك شنطح، جالك ينطح

بنت العسكر، راحت تسكر

مين سكرها، قمح السكر

النموذج الثالث[42]:

حطة يا بطة، يا دقن القطة

عمي حسن، زرع بصل

جيت آشمه، كلت كله

هكذا توحدت المشاعر عبر العصور، فالعاطفة واحدة والاهتمام بالنسل واحد عند إنسان الأمس، وهند إنسان اليوم لا يتبدل بتعاقب الأيام والسنين.

غير أنّ شعر الأطفال –في هذا العصر المتأخر– قد تجاوز شعر الترقيص إلى أشكال أخرى، فتنوعت مضامين هذا الشعر وتعددت موضوعاته، ولعلّ خير من مثّل شعر الأطفال في العصر الحديث أمير الشعراء أحمد شوقي مجدد العصر الفائت، الذي خصّص جزءا لا بأس به من إنتاجه الشعري لأطفال العالم العربي، إذ «يعدّ الشاعر الكبير أحمد شوقي أول من كتب للأطفال العرب أدبا خاصا بهم في اللغة العربية»[43].

ومن أجمل أمثلة ذلك –عند هذا الشاعر– ومما رسخ في أذهانها –منذ عهد الصبى– ، وعلى أيام المدارس الابتدائية، قصيدته الشهيرة "اليمامة والصياد" والتي يقول فيها[44]:

---

(41)– ينظر: المرجع نفسه. ص141.

(42)– ينظر: المرجع نفسه. ص141.

(43)– مفتاح محمد دياب. مقدمة في ثقافة أدب الأطفال .الدار الدولية للنشر والتوزيع. القاهرة –مصر.ط1. 1995. ص127.

(44)–أحمد شوقي .الديوان.تحقيق :إميل أكبا.دار الجيل.بيروت – لبنان.ط2. 1999 .ص124

يمامــةٌ كانــت بــأعلى الشــجرهْ آمنـــةً فـــي عشـــها مســـتترهْ
فاقبـــلَ الصـــيادُ ذات يـــومٍ وحــامَ حــول الــروض أيَّ حــومِ
فلــم يجــدْ للطيــر فيــه ظــلاّ وهـــم بالرحيـــل حـــين مـــلاّ
فبــرزت مــن عشــها الحمقــاءُ والحمـــقُ داءٌ مـــا لَـــه دواءُ
تقــول: جهــلا بالــذي ســيحدثُ يــا أيُّهــا الإنســانُ عمَّــا تبحــثُ؟
فالتفت الصّيادُ صوبَ الصوتِ ونحـــوَه ســـدّدَ ســـهمَ المـــوتِ
فســقطَت مــن عرشــها المكــينِ ووقعَــت فـــي قبضـــة السّـــكينِ
تقـــول قـــول عـــارفٍ محـــقٍّ ملكْـت نفسـي لـو ملكْـت منطقـي

هكذا الحمق يزري بصاحبه دائما ويوقع بساحته المهالك، حال هذه اليمامة الحمقاء كما يصفها الشاعر، والتي برزت من عشّها مقبلة على الصياد تسائله، ولو علمت ما في المساءلة اختفت وتوارت عن الأنظار، ووفّرت حياتها المسكينة، ولكنّه الحمق أودى بها، أغلب النتاج الشعري لأحمد شوقي في هذا اللون، قد تضمّن حكما ومواعظ بالغة التأثير على غرار هذه الأخيرة، وقد توالت محاولات الشعراء بعد شوقي، إذ تجد العديد من الأسماء التي سطع نجمها في مجال الكتابة الشعرية للأطفال على غرار محمد الهراوي، سليمان العيسى، أحمد نجيب، ومحمد مصطفى الغماري، عبد القادر الأخضر السائحي وغيرهم كثير.

ومن أجمل ما يستشهد به في هذا المقام قصيدة "رباب" لسليمان العيسى، والتي يقول فيها[45]:

قالت رباب: أنا ربابْ
العشبُ أزهرَ، والتّرابْ
عصفورةُ البيت الصغيرْ

---

(45)– سليمان العيسى. غنوا ياأطفال.دار الآداب للصغار.بيروت –لبنان.ط1. 1978 .ج2.ص24–25.

وقُبلةُ النُّور المذابْ

أنا أُوقظُ الماما على

نـغمِ الصَّبـاحْ

قالت ربابُ: أنا ربابْ

أنا زهرةٌ، بيدي كتابْ.

رباب–إذن– كلّ طفلة عربية بل وكلّ بنت من بنات المعمورة طيبة نضرة كعصفورة صغيرة، تزدان بها هذه الدنيا وتحمل رسالة العلم باكرا أملا في مستقبل النور الجميل.

ومن بديع ذلك أيضا قصيدة "عم صباحا يا فراشي" للشاعر أحمد نجيب والتي يقول فيها[46]:

عِمْ صباحا يا فِراشي قد أتى الصّبحُ الجديدْ

أشرقَ النورُ فهيّا نوقظُ الوادي السعيدْ

ونُغنّي في صباحٍ باكرٍ حُلْوِ النشيدْ

يا صباحَ النّورِ في الوادي السعيدْ

يا صباحَ الفلِّ يا صُبحَ الورودْ

يا سروري يا طيوري بينَ أزهارٍ ونورْ

ونخيلٍ باسقاتٍ وميّاهٍ في الغديرْ

إلى غير هذا من الأشعار الطفولية البديعة عند هؤلاء الشعراء وغيرهم إذ لا يتّسع المقام لذكرها.

معايير وشروط التأليف الشعري للأطفال:

هناك مجموعة من المقاييس والمعايير التي ينبغي أن يُهتدى بضوئها في أثناء عملية الإنتاج الشعري للأطفال، وقد أسهب المشتغلون في مجال أدب الأطفال في وضعها

(**46**)– ينظر: أحمد نجيب المرجع السابق.ص**122–123**

وتعدادها لتسهم في تحديد معالم الطريق المستقيم الواضح الذي يصبو إليه كلّ راغب في تجربة الكتابة الشعرية عند الأطفال، هذه الكتابة الرسالة التي لا يجوز معها التهاون والعبث.

ونجد من بين الباحثين الذين همّهم هذا الأمر الدارس العربي حسن شحاتة، الذي نوّه بلزوم إتباع مجموعة من المعايير والمقاييس في أثناء عملية الكتابة للأطفال، وبخاصة الشعرية منها، والتي من شأنها أن تساعد على إنتاج شعر جيّد للأطفال إذا ما روعيت ، فيحدّد هذه المعايير في النقاط الآتية[47]:

1-دوران الشعر حول هدف تربويّ.

2-بساطة الفكرة ووضوحها وتناولها للمعاني الحسيّة؛ أي أنّ النصوص الشعرية يجب أن تكون تعبيرا عن تجارب مرّت بالأطفال.

3-ارتباط الشعر بالفكاهة والبهجة المملوءة بالحيوية.

4-ارتباط الشعر بالمعجم اللغوي للطفل...ففهم معاني الكلمات ضروري لفهم معاني الشعر.

5-تنمية خيال الأطفال، وإيقاظ مشاعرهم وإحساسهم بالجمال.

6-الإيقاع الشعري المتكرّر في الشعر للأطفال.. لذا كان الشعر العمودي أفضل من للأطفال من الشعر الحرّ.

7-تنويع شعر الأطفال، فلا ينبغي أن يقتصر هذا الشعر على المحفوظات الشعرية والأناشيد، بل يجب أن يتّسع، ويتنوّعَ ليشمل القصة الشعرية، والتمثيلية والمسرحيات والأغنيات والألغاز.

8-ارتباط الشعر بأهداف أدب الأطفال.

وغير بعيد عن هذا يأخذ الدارس نجيب الكيلاني في تعداد مجموعة من المعايير الأخرى، والذي يرى وجوب اتّباعها على من أراد سلك هذا النهج من الكتابة الشعرية، وبخاصة إذا

---

(47)- حسن شحاتة.أدب الطفل العربي دراسات وبحوث.الدار المصرية اللبنانية القاهرة-مصر. ط3. 2004.ص23ومابعدها.

كان ينتسب إلى أمّة الإسلام مضيفا على من سبقه بعض المعايير المتعلّقة واللّصيقة بالعقيدة الإسلامية ،وتعرض لهذه الشروط التي يحدّدها الدارس على النحو الآتي[48]:

1-الحرص على اللغة الشعرية لفظا وعبارة وصورة.

2-الاهتمام بالبحور ذات الإيقاع الساحر والجذّاب.

3-يسر الأفكار والمعاني وسهولتها.

4-البعد عن التعقيدات البلاغية والبيانية.

5-اختيار مواضيع تناسب واقع الطفل واهتماماته.

6-توافق القيم الشعرية مع ما تعلّمه الطفل من عقيدته الإسلامية.

7-وحدة القافية لما لها من آثار داخلية في نفسية الطفل ووجدانه.

8-شمول الصورة الشعرية بمختلف جوانب حياة الطفل

من هذا نجد أنّ الدارس يتّفق مع سابقه في وجوب التزام مجموعة من المعايير العامة في الكتابة الشعرية للأطفال من مثل التركيز في الإيقاع الجذّاب، والبعد عن التعقيدات البلاغية والحوشي من الألفاظ، والاقتراب من المواضيع التي تترجم الحياة اليومية التي يعيشها الطفل ليكون الشعر أقدر على إشباع حاجاته النفسية، وتلبية رغباته اليومية، غير أنّه يزيد عليه- كما أسلفنا وجوب ارتباط مضامين شعر الأطفال بالعقيدة الإسلامية السمحة لتكون معينا هامّا-إلى جانب الوسائل التربوية الأخرى- في ترسيخ أركان هذه العقيدة عند الطفل المسلم.

وخلاصة القول إنّ عملية التأليف الشعري للأطفال تعدّ عملية غاية في التعقيد لا يكفي معها، الطبع والموهبة الشعرية وحدهما كونها غير مطروحة في الطريق، يتناولها كلّ من قدر على الشعر وقرضه، فالأمر خلاف ذلك كون المتلقّي فيها طرفا غير عادي على الإطلاق، يأخذ وضعية غاية في الحساسية والخطورة ينبغي معها مراعاة حاجات هذا

(48)- ينظر: نجيب الكيلاني. أدب الأطفال في ضوء الإسلام. مؤسّسة الرّسالة. بيروت، لبنان. ط1. 1986. ص89.

المتلقّي/ الطفل، وخصائصه النفسية؛ فلقد«أصبحت الطفولة اليوم مهمة في ذاتها ولذاتها؛ فهي أهم مرحلة في بناء الشخصية، والطفل هو أمل العالم ورجل المستقبل، وكلّ خبرة تمرّ به في الطفولة تؤثّر فيه تأثيرا كبيرا، وأدب الأطفال من أهمّ خبرات هذه المرحلة، وبناءً عليه فهو يدخل في صنع الطفل وبناء شخصيته»[49].

هذا ما يفرض على أن تكون عملية التأليف الشعري للأطفال خاضعة جبرا وإلزاما للمعايير والمقاييس السابقة الذكر، حتّى يتحقّق المراد من ورائها وفق ما تنشده الأهداف العامة لأدب الأطفال.

(49)– حنان عبد المجيد العناني. أدب الأطفال. ص26.